مآثر النـــور ...

شعر علمي

للأستاذ نقولا الحداد

أما خلق الضياء لنا العيونا ... وشقّ لها عن المُقَل الجفونا[1]
رسولُ النور يستدنى الأقاصى ... وعنها يشرح الخبر اليقينا[2]
جمال الكون لاح بوجنتيه ... وداجي هجره طمس الظنونا
إذا ما غاب لم يفقد ضريرٌ ... بصيرته ويعمى المبصرونا
بدت صُحُفُ الضيا تطوى رسوماً
بدائعَ ثم تنشرها فنـــونا[3]
ودبّجتِ المروجَ الخضرَ لما ... طلت أزهارها لوناً فلونا[4]
فما بين احمرار وازرقاقٍ ... تموّجت الأزاهرُ يُزْدَهَيْنا
فيالك من شِعاعٍ[5] ناظماتٍ ... قصدَ الروض يسحرنا فتونا
فموسيقى الضياء تريك نقشاً ... وموسيقى الأفانين الأنينا[1]
إذا هبَّ النسيم وفاض ضوءٌ ... تهللت الربى وصفت معينا
وإن غمرَ الرياضَ سنا ذكاء ... تفجرتِ الحياةُ بها عيونا
وحيّتها الطيور مغنياتٍ ... وقد رقصت حدائقها غصونا

أيا قمراً يريدُ سناك يحوى ... رسالاتِ الهوى للعاشقينا
وعندك تلتقى الأبصار تروى ... إذا أصغيتُ عن مهجٍ شجونا
فكم من عاشق ناغاكَ وجداً ... وكم من مدنف ناجى حزينا
ألم يُملأْ سجلّاتَ من قضايا
غرام مسامريك مدى السنينا ؟
فما فتواكَ فى شيخ تصابى ... وهام بكاعبٍ بكرٍ جنونا
أتأتلف الحمامةُ مع بعيرٍ ... وتألفُ ظبية بغلاً حَرُونا
ألا سل جدة الأقمار[2] ماذا ... دهاها حين قاربت العرينا
بدا الضرغام يكبرها ألوفاً ... تهادى نحوها يمشى الهوينا[3]
وداعبها وراودها فعفت ... فعاهدها يكون لها قرينا
فقالت : ويكَ لو زفّوا لجدٍّ ... حفيدَته وربك يكفرونا
وجاذبها إليـــه فدافعته ... فمزّق عن محياها الجبينا
فصدَّته وقد تفلت عليـه ... تُقَلّل الغيظ سجّيلاً وطينا
وما ركلته حتى فرّ عنها ... وأصبح من تغضّبها أمينا
وقد بقيت قذائفُها لديها ... كواكبَ دائراتٍ يُجتلينا

(١) تقتضى نظرية التطور ، تنشأ أعضاء الجسم الحى حسبما تقتضيه عوامل البيئة . وقد رأى داروين وسبنسر وغيرهما أن حاسة البصر كانت فى الأحياء الدنيا كالديدان مثلا فى سطوح أجسامها . فترى دودة الطين التى يستعملها صيادو السمك طعما فى سنارتهم — تراها متى ظهرت للنور تتلوى كأنها ميزت بين النور والظلمة ، وهى لا عين لها . وعلى تمادى التطور ، تجمعت حاسة البصر فى الحيوانات الفقارية فى بؤرة واحدة أو « بؤرتين أو أكثر » وهى العين ، فبهذا المعنى ابتدع النور العين

(٢) النور الذى ينعكس عن الأجسام ، يأتينا بأخبار صفاتها المرئية ، كاللون والحجم والحركة والمسافة الخ ... والنور الذى يصدر من الأجرام السماوية يأتينا بأخبار ما فيها من عناصر ولمعات وحرارة ، وما لها من سرعة واتجاه الخ .. والشطر التالى تلميح لهذا

(٣) كأن النور صحائف ، ترسم فيها صور الأشياء المختلفة والفوتوغرافية مثل لهذا

(٤) الثابت علميا أن الألوان ليست فى الأشياء التى نراها ، بل هى فى الجهاز العصبى البصرى وفى المراكز الدماغية ، وإنما يختلف لون عن لون باختلاف تأثير موجات الأشعة فى العصب البصرى وموجات الأشعة المنعكسة عن الأشياء تختلف بالطول والعدد فى الثانية (كموجات الراديو) فأطولها يفعل اللون الأحمر وأقصرها اللون الأزرق . وحاصل القول أن موجات النور تبتدع الألوان

(٥) شعاع بكسر الشين جمع شعاع بضمها

(١) قد يكون هـذا الشطر غامضاً . ولكن اللبيب لا يغمض عليه المعنى ، وهو أن « موسيقى خفيف الغصون تسمك الأنين حملا على موسيقى الضياء التى تريك نقشاً » ، وذلك لما بين الموسيقيين من التشابه . فلكل فيها سلم ، ذات سبع درجات — سبع نغمات وسبعة ألوان رئيسية .

(٢) جدة الأقمار الشمس وهى أم السيارات . ولبعض السيارات غير الأرض أقمار . فللمريخ قمران والمشترى تسعة أقمار ولزحل تسعة ولأورانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

(٣) الرأى الأخير فى ولادة السيارات من الشمس أنه فى دهر من الدهور المتقادمة جداً ، اتفق أن مرت الشمس على مقربة من نجم أكبر منها ألوف الأضعاف . ففعل فيها بقوة الجذب مداً وجزراً ، كما يفعل القمر فى بحار الأرض . فارتفع قدر كبير من كتلتها ، وهى غازية ، كعمود ضخم . فقطعته قوة الجذب من الجانبين قطعاً ، ولما حار النجم والشمس يتباعدان بقيت تلك الكتل المقطعة تدور حول الشمس سيارات ، وفى الأبيات التالية تلميح لكل هذا

ولهذا الرأى تفصيل واف فى بعض مؤلفات السير تجاينس تجنيز ، وفى مقالة له فى دائرة المعارف البريطانية ، وهو أول من شرح هذه النظرية المسماة الرأى المدى Tidal Theory